الثورة المعلوماتية ومدى تأثيرها على الهويات الجمعية
تطوير أم تهميش

علاء عبد الرزاق
تدريسي باحث، كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد

الملخص

تعد ثورة المعلومات واحدة من أهم الانتقالات التي شهدها العالم المعاصر في مجال صياغة المعرفة وتحولها وتأثيرها المباشر الذي صار شاملاً لكل مناحي الحياة ولعل أهمها صياغة الهوية الفردية والعمل على تقويض أسس ومرتكزات الهويات التقليدية والجمعية، وعلى هذا الاساس جاء البحث ليعالج الدور الذي قامت به ثورة المعلومات ،و وسائل الاتصال الحديثة في تهميش الهويات الجمعية ومنها بطبيعة الحال الهوية العربية الاسلامية، وبالقدر الذي سعت فيه الثورة المعلوماتية إلى تقريب أجزاء العالم بعضها الى بعضها الاخر فان مخرجاتها قد أدت الى تهميش الثقافات الوطنية ومنها الثقافية العربية لصالح ثقافة واحدة هي الثقافية الأمريكية ،التي بدأت تأخذ طابع السيادة على الفكر العالمي كنمط سائد قابل للتعميم والتطبيق .

الكلمات المفتاحية

التدفق المعلوماتي، الهوية الافتراضية، الشعور الجمعي، الشبكة العنكبوتية، الطفرة التكنولوجية

The information revolution and its impact on collective identities Development or marginalization

Alaa Abdel Razzaq
Teaching researcher, College of Political Science/University of Baghdad

Abstract

The topic area of this paper dealing with Information Revolution and its impact upon traditional identity, The information revolution is one of the most important transitions witnessed in the contemporary world in the field of formulating knowledge and its transformation and direct impact, which has become comprehensive for all aspects of life and perhaps the most important one is the formulation of individual identity and work to undermine the foundations and foundations of traditional and collective identities, and on this basis the research came to address the role played by the information revolution And modern means of communication in the marginalization of collective identities, including of course the Arab-Islamic identity, and to the extent that the information revolution sought to bring parts of the world closer to each other, its outputs have led to the marginalization of national cultures, including Islamic Arabic one , in favor of one culture, which is the American culture, which began to take the stamp of global thought over the prevailing pattern, which is generalizable and applicable.

Key words

Informational flow, Virtual identity, Collective feeling, world Wide Web, Technological boom.

المقدمة

تعد ثورة المعلومات وما رافقها من تطورات علمية وتقنية بمثابة أحد أهم سمات المجتمع المعاصر وكانت لها كما هو الحال مع أي تطور علمي جملة من التأثيرات والتي كان بعضها أيجابيا وآخر سلبيا وكان تأثيرها في مجال الهوية بمرتكزاتها واسسها واحداً من أهم التأثيرات التي شكلت المحور الاساسي للبحث .

الفرضية

ينطلق البحث من فرضية اساسية الا وهي إن للثورة المعلوماتية دوراً فاعلاً وبارزاً في تهميش الهويات الجمعية والتقليدية للمجتمعات التي تلقت صدمة الحداثة دون أن تهيئ المستلزمات الكافية للتفاعل بشكل ايجابي مع معطيات هذه الثورة المعلوماتية التي غيرت نظرة الانسان لجملة من مسلماته الاعتقادية التقليدية .

الاشكالية

اما الاشكالية الخاصة بالبحث فتتجلى بالإجابة عن الاسئلة الاتية: ما مدى تغير أو تواءم مفهوم الهوية الفردية والجمعية مع معطيات الثورة العلمية والتكنولوجية ؟ وما مدى التأثير الذي تركته الثورة المعلوماتية على الهوية ؟ وما الصورة التي أضحى بها الانسان المعاصر بشكل عام والانسان العربي بشكل ينظر لذاته ولتاريخه وكيفية تعامله مع ظاهرة رقمنة المعلومات وهل استطاع استثمار هذا التغيير الجديد في عالم المعرفة بطريقة تؤدي إلى تكامل الابعاد الانسانية في الهوية وتضيف لها قيماً واتجاهاتٍ تكون بمثابة اضافة نوعية لها ، أو ان مثل هذه التطورات العلمية والتكنولوجية قد أسهمت في تعميق أزمة الهوية لدى الانسان العربي المعاصر وزادت من اغترابه وهمشت الاسس التي تنهض عليها هويته وعوامل تفردها وتميزها .

الهيكلية

وعلى هذا الاساس فقد قسم البحث لمبحثين أساسيين كان الاول متعلقاً بتوضيح مفهوم الهوية وأبعادها ومرتكزاتها من الناحية اللغوية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية، اما المبحث الثاني فقد تناول ثورة المعلومات من ناحية المفهوم والتطورات التي رافقت ولازمت هذه الثورة والكيفية التي اثرت بها على مجمل المفاهيم والاطر التقليدية ومنها بطبيعة الحال الهوية .

أولا . مفهوم الهوية

تفترض المقدمة النظرية للبحث التعريف بأبرز المفاهيم الواردة فيه وهي الهوية والثورة المعلوماتية ، والهوية في اللغة هي لفظ صناعي مركب وهو الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، والمعرف بأداة التعريف "ال" ومن اللاحقة المتمثلة في (الياء) المشددة وعلامة التأنيث(ة) والهوية هي حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية وذلك منسوب إلى هو . (١)

والهوية في اللغة الانكليزية هي "Identity" ولها في المعاجم اللغوية الانكليزية أكثر من معنى، إذ تعني حقيقة بقاء الشيء كما هو عليه وفي ظل أي ظروف مختلفة، وتعني أيضاً كينونة الذات أو الشيء، وقد امتازت هذه الذات من غيرها ، وتعني ايضا الخاصية التي تجعل شخصاً ما معروفاً أو متعيناً أو حقيقة بقاء الشيء المعين ثابتة ومعروفة، كما تدل على التشابه التام في الطبيعة أو النوعية أو المماثلة التامة . (٢)

وتعني الهوية ايضا التماثل التام أو التشابه المطلق، كما ان كلمة "identify" تعني تعيين أو تأسيس الهوية عن طريق اثبات ان الشخص أو الشي المعين هو ما هو عليه والهوية في اللغة اللاتينية"identi" تعني الشيء نفسه او الشيء الذي هو ما هو عليه، اي الطابع العام او الصفة المميزة لشيء أو شخص ما .

والهوية في اللغة الفرنسية تعني "Identite" وهي تدل على مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما شخصاً معروفاً أو معيناً . (٣)

والهوية عند القدماء تدل على عدة معان لعل ابرزها التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي، قالوا ما به الشيء هو"هو" باعتبار تحققه يسمى ذاتاً وباعتبار تشخصه يسمى هوية واذا أخذ أهم من هذا الاعتبار اضحى ماهية، وقالوا إن الامر المتعقل من حيث انه معقول في جواب ما هو" ماهية" ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه من الغير يسمى هوية، ومن حيث اللوازم يسمى ذاتاً . (٤)

والهوية فلسفياً تطلق على العلاقة الفكرية التي ترفع كثرة المعاني في الموضوع فتردها إلى الوحدة في الاشارة مثلاً: " أ في علاقة مع ب معناها انه على الرغم من الاختلاف في التعبير بين أ وب فان المقصود بهما شيء واحد ، وفي المنطق والرياضيات تدل الهوية على علاقة بين شيئين أو كميتين كل طرف فيهما يقوم برأسه، ويستخدم للدلالة على هذه العلاقة بالعلامة(=)س=ص وتعني س في هوية مع ص . (٥)

وتعني الهوية في الادراك الفلسفي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة الى الشجرة في الغيب المطلق لذلك قيل ان الاحق باسم الهوية " من كان وجود ذاته من نفسها ، وهو المسمى واجب الوجود والمستلزم للتقدم والبقاء .

وقال ابو نصر الفارابي: " بإن هوية الشيء ، تعينه وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كل واحد ، وقولنا انه "هو" اشارة الى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له والذي لا يقع فيه اشراك، ولقد عد الفارابي الهوية من جملة الموجودات وليست من جملة المقولات، فهي من العوارض اللازمة، وليست من اللواحق التي تكون بعد الماهية، وهناك من يرى ان الهوية هي الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي وشهودي . (٦)

ولقد عنت الفلسفة اليونانية قديماً بالهوية وبمبدأ الهوية ووضع ارسطو للهوية ثلاثة قوانين اساسية وعد بالإمكان رد قوانين الفكر الاساسية الى قانون واحد هو قانون الهوية فقانون عدم التناقض هو صورة سلبية لقانون الهوية، والقانون الثالث المرفوع صورة شرطية لقانون عدم التناقض، وقانون الذاتية صورة ايجابية للقوانين الثلاثة . (٧)

وقد تناول عدد من الفلاسفة مفهوم الهوية الشخصية، التي تعني ماهية الانا والذات وبقاء هذا الانا وهذه الذات على حالها من سنة لأخرى دون تحور أو تبدل، ولقد دار نقاش مستفيض عن مصدر الهوية – الذات فهل هو العقل أو المادة . واذا ما قلنا ان المادة هي مصدر الهوية كان ذلك بعيداً عن الحقيقة، ذلك ان كل خلية في الجسم في تغير مستمر، كما ان الهوية – الذات لا يمكن ان تكون في العقل ايضاً ، ذلك ان مجموع العواطف والمشاعر والافكار التي تشكل الضمير تتغير بشكل ثابت ومستمر، كما ان الانسان لا يمكن ان يكون متماثلاً مع ذاته بالشكل الذي كان عليه قبل سنة مضت . (٨)

والهوية الشخصية تتحدد بناء على اسم الشخص وموقعه في المجتمع فضلا عن الوجود المادي المستمر والذاكرة الثابتة وهذا الوجود المادي الموضوعي يبنى على قاعدة التماثل والاستمرار لوجود الانسان كفرد ومقدرته على تمييز وادراك المواقف العقلانية والاخلاقية والتي في حالة مرور الانسان بها يشعر بذاته وبشكل حاد وعميق الامر الذي يتكون لديه وفي اعماق ذاته صوت يناديه بالقول " هذا هو أنا حقيقة" . (٩)

وتدل الهوية عند المحدثين عادة على أربعة معانٍ وهذه المعاني هي:(١٠)

١. يطلق اسم الهوية على الشيء من جهة ما هو واحد، كقولنا ان الشيخ الرئيس هو ابو علي بن سينا، وتسمى هذه الهوية بالهوية الفردية.

٢. يطلق لفظ الهوية على الشخص أو على الموجود المشبه بالشخص إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة بالرغم من التغييرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده، ومنه قولنا هوية الانا، وهوية الفاعل، وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية"Personal Identity " .

٣. وتعد الهوية صفة لموضوعين من موضوعات الفكر على الرغم من اختلافهما في الزمان والمكان متشابهان في كيفيات واحدة، وتسمى هذه الهوية بالهوية الكيفية أو النوعية"Qualitive Identity" أو الهوية النوعية "Specific Identity" .

٤. الهوية علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية، والمساواة الجبرية والتي ت ظل صادقة رغم اختلاف قيم الحروف والتي تتقوم منها كما في العلاقة الجبرية الاتية: (ب+ج) ٢= ب ٢+ج٢+٢ ب ج.

ولقد بحثت جذور الهوية من لدن فلاسفة تجريبيين وعقلانيين مثل ديفيد هيوم وعمانوئيل كانت، وكان الاول قد استبعد اي تماثل مع الذات بشكل كامل، وقد فسر هذا الطرح بالقول بان جزءاً من العقل الواعي في لحظة ما يظل متماثلاً في اللحظة التالية كما يكون من السهل التوقع بان الذات الواحدة تخضع لعملية تغيير تدريجي بشكل أكبر من ذوات متعددة مع تشكيلات معقدة، ولقد اعتقد هيوم، بأن النفس تمتلك مظهراً واحداً من الهوية الذاتية ويتكون هذا المظهر عن طريق تعاقب الصور والاحاسيس بشكل الي وهذا التعاقب هو الذي ينشأ الفكرة.

وبالمقابل فان عمانوئيل كانت اعتقد بأن التماثل مع الذات يتم البحث عنه في مجال الضمير الفردي فهل تتابع الافكار والمشاعر والاحاسيس يحدث في الضمير بشكل متوال او لا وقد بدا واضحاً ل ((كانت)) بان الشي في ذات نفسه(العقل المجرد) ذو علاقة بالعقل العملي وبحالات مختلفة.(١١)

كما يطلق اصطلاح فلسفة الهوية على كل فلسفة لا تفرق بين المادة والروح وبصورة اخص على مذهب شيلينغ القائل بوحدة الطبيعة والفكر، لقد جعل شيلينغ من الهوية المطلقة جوهر العقل وماهيته، وتبعاً لذلك رأى ان الفلسفة لا يمكنها التخلص من المشاكل المعقدة التي تتردى فيها إلا بالرجوع إلى مبدأ الهوية، ذلك ان

جوهر الاشياء الاعمق هو الواحد ، والكل الواحد يقوم على المعرفة الذاتية على وجه ادق وخارجها لا يوجد شيء قابل لان يُعرف ولهذا ينتهي الى القول بان العقل والهوية المطلقة ليست فقط ماهيته بل هي صورته وقانونه، اي ان المطلق واحد ، ماهية واحدة هي عينها ، وهذا يعني انه امن بوحدة الذات والموضوع ووحدة الطبيعة والفكر ووحدة المثل الاعلى والواقع، ووحدة المادة والروح، ومبدأ الهوية لدى شيلينغ يقوم على ان الموجود هو ذاته، اي هو ما هو عليه، كما ان الهوية ايضاً هي التشخص وهي الحقيقة الجزئية، وقد تطلق على الذات الالهية فهوية الحق هي عينه . (١٢)

ويصدق مبدأ الهوية على كل علاقة منطقية، كما انه المثل الاعلى للكم التحليلي، لان المحمول في هذا الحكم ليس جزءاً من مفهوم الموضوع وانما هو عين الموضوع نفسه، ومن مشتقات مبدأ الهوية مبدأ التناقض ومبدأ الثالث المرفوع، فأما مبدأ التناقض فيعني ان الشيء الواحد لا يكون موجوداً ومعدوماً في ذات الوقت . واما مبدأ الثالث المرفوع فهو القول بأن القضيتين المتناقضتين لا تصدقان معاً ، ولا تكذبان معاً . (١٣)

تحدد الهوية بوصفها مفهوم اجتماعي على انها البعد المحلي أو الصبغة السائدة وهي طريقة الاداء المتوارث التي تحدد الخصوصية التي يتميز بها بلد ما وهو ما يمكن ان نوجزه في المنحى الخاص بطرح المشكلات والاستجابة لها وحلها مما يؤلف اخر الامر طابعاً مستمراً للفكر والسلوك والذي يميز شعباً ما من شعب آخر ، وبطبيعة الحال فان الصبغة الخاصة باي شعب قد صيغت بمقتضى مشروعات وانجازات متتابعة وذلك عن طريق البحث الدؤوب عن حلول للمشكلات وحلها ، مما يؤلف أخر الامر طابعاً مستمراً للفكر والسلوك كالقول مثلا بالنزعة التجريبية والبراغماتية في الفكر الانكلوسكسوني، أو النزعة المثالية والبحث في الميتافيزيقيا لدى الفلاسفة الالمان وعلى الرغم من ان هذه النزعات لا تستنفذ كل مواقف الفكر والسلوك عند كل امة لان هنالك تنوعات متعددة، فالهوية تعني وحدة الانتماء ، ولكن هذا لا يعني التجانس ، بل الوحدة في المتنوع، وكل ما يؤدي الى التقارب والالتقاء عند نقاط مشتركة . ولقد صاغت هذه الشعوب هذه الصبغة أو تلك الهوية الخاصة بها بمقتضى مشروعات وانجازات متتابعة وذلك عن طريق البحث الدؤوب عن حلول المشكلات ومواجهة التحديات، واختيار مواقف ساد بعضها دون البعض الاخر وليس من خلال هوية مفطورة معطاة من امدٍ بعيد ولد بها الانسان منذ البداية . (١٤)

والهوية ايضاً عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، وتنطوي على نسق عال من عمليات التكامل المعرفي وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية والتي تنطوي على إحساس بوحدة المشاعر الداخلية والتي تتمثل بوحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد

المركزي، وهذا يعني ان الهوية هي واحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة، والتي تجعل الشخص يتمايز من سواه ويشعر بوحدته الذاتية. (١٥)

ولقد قدم سيغموند فرويد تحليلا نفسياً واجتماعياً للهوية متأثراً فيه بالتقاليد الفكرية اليهودية وذلك في بحوثه الخاصة بالهوية الذاتية وتتشكل الهوية لدى فرويد عن طريق اسم الشخص، ومقدرته على العيش والتفكير بمفرده ضمن مجموعة كبيرة من الافراد تشهد عدة انواع من الصراع فيما بينها .

والتطور التدريجي للهوية الاجتماعية والنفسية يفترض مقدماً وجود مجموعة من الافراد يكون لهم تقاليد وقيم خاصة، بحيث تدفع الفرد المنتمي الى هذه المجموعة بالتلاؤم تدريجيا مع قيم المجموعة وتتبنى قيمها وتقاليدها، وينشأ بذلك لكل فرد دور معين، والاندماج الهرمي لهذه الادوار ينشط ويتعزز عن طريق حيوية التطور الفردي والذي يدفع بالتدريج إلى تطور النظام الاجتماعي والذي يدعم بدوره هذه الهويات . وهذا يعني إن الهوية الاجتماعية– النفسية تعتمد على تكامل الانا الداخلي ((Ego)) لدى الفرد مع اندماج الادوار الفردية ضمن المجموعة التي ينتمي اليها . (١٦)

واما أريك اريكسون(١٩٠٢–١٩٩٤) فقد عالج مسألة الهوية من زاوية نفسية بحتة والنقطة المركزية في نظرية أريكسون تتجلى في ان الهوية لا تتشكل بتأثير المحيط الاجتماعي فقط، وبالتالي شكك في النظريات التي تفترض إمكانية نشوء هويات صناعية جديدة عبر جهد مخطط، كما شكك في الوقت ذاته بالرؤية الفردانية القائلة بان الفرد قادر على فصل نفسه عن المحيط وانشاء هوية جديدة مستقلة تماماً إذ امن بان هوية الفرد تتشكل عن طريق كفاح طويل، يبدأ في مرحلة المراهقة ويتركز على تركيب عنصرين اولهما اكتساب القدرة على الانتاج والعلاقة مع المحيط وثانيهما الاحساس بالاندماج في عالم معنوي مناسب . (١٧)

وإذا ما كانت الهوية في الفكر الغربي تتحدد بالفرد أولاً، ومن ثم اندماجه بالمجتمع كمرحلة ثانية، فإنها في الفكر العربي تتحدد بالمجتمع إذ تنبع الهوية من المجتمع أساساً ولا وجود لهوية خارج المجتمع فهوية الامة العربية مثلا هي هوية تاريخية والتاريخ هو الذي شكلها فالأمة هي وحدها التي تمتلك الهوية سواء كانت جماعة صغيرة أو كبيرة بشرط تماثل افرادها وانصهارهم في الوجود المجتمعي الخارجي . واي فرد لا يستطيع ان يستقل عن الجماعة في هذا الاطار، اي انه في حاجة إلى هوية تجمعه مع الاخرين إذ ليس بإمكانه ان تكون له هوية لوحده . (١٨)

وهذا يعني إن الحاجة للجماعة المرجعية مسألة مهمة وحيوية في تكوين وتكامل الشروط الخاصة بالهوية، وقد اهتمت الدراسات الانثروبولوجية هي الاخرى بدراسة هوية المجتمعات البدائية وكذلك الحال هوية المجتمعات المتقدمة وبينت الطريقة التي تقوم بها المجتمعات المختلفة بالتعبير عن الهوية والقيم الثقافية والنسق الثقافي الذي تطرحه المجتمعات المختلفة للتعبير عن هويتها، ويشير مفهوم الهوية من زاوية أنثروبولوجية إلى توحد الذات مع وضع اجتماعي معين أو مع تراث ثقافي معين.

وهنالك في واقع الامر ثلاثة مستويات للهوية فهنالك الهوية على المستوى الفردي، اي شعور الشخص بالانتماء الى جماعة او إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات و(الهوية) بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية، وهنالك التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات واحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري. وهنالك ثالثاً حالة تجسد وتبلور هذه الهوية في مؤسسات وبنى قانونية على أيدي الحكومات والانظمة.

وتبرز الهوية بأشكال وصيغ عديدة تبعاً للأوضاع المؤثرة إبتداءاً من تعبير الشخص الفرد عنها، وانتهاءاً بالأشكال التنظيمية الارقى عن طريق نسق نظامي وعقلاني وقانوني، وأشكال التعبير عن هذه الهوية لا تفترض بالضرورة تكاملاً وتلاحقاً وتفاعلاً اذ نرى قدراً من التضاد فكلما زادت درجة المأسسة للهوية اي خضوعها لمؤسسة معينة ضعفت اصالتها على الرغم من ان هدف المأسسة يبدو في الظاهر في اطار تأصيل الهوية والتعبير الافضل عنها، لان كل مأسسة للهوية تخدم واحداً من جوانب الهوية على حساب جانب اخر، والهوية على المستوى الجمعي قد تكون كامنة تنتظر الاطار التاريخي الذي يسمح لها بالتعبير عن ذاتها، وهنا يأتي دور النضال الفكري والسياسي لتحقيق هذا الاطار.

وتعد الهوية بمثابة الرمز والعامل المشترك الذي يجمع عليه افراد الامة من حيث الانتساب والتعلق، والولاء، والاعتزاز، وهذا الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز يكتسب قداسته، لأنه لا يمكن ان يكون موضع شك من لدن اي طرف خاصة ممن يتكون منهم قاعدة الهرم وهي هوية القاسم المشترك بين الجميع استنادا الى الخلفية الثقافية والتاريخية الواحدة ومما يجعل هذا الاعتزاز بالهوية امرا مشروعا ايضا وحدة

المصالح والمستقبل الواحد وبهذا المعنى الهوية هي الذات الجماعية لأفراد الامة كلهم والمساس بها يعني المساس بكيان الامة ويمس نفسية كل فرد منها لأنه شك في الماضي وطعن في الحاضر ،ويأس من المستقبل .

ولعل العامل الاساس في تحديد هوية امة من الامم او بلد من البلدان هو: الخلفية الثقافية والتاريخية والصراعات الراهنة والتحديات التي تفرض عليه، والتجارب المختلفة والاوضاع التي يمر بها البلد وهي التي تصقل وتصهر هوية الافراد وبالتالي يشترك كل الافراد في صنع تلك الهوية الجماعية ويتعودون عليها بمرور الزمن فتصبح في نظرهم اصيلة كلما تقادمت وكأنها جزءُ من النظام الطبيعي نفسه بالرغم من ثبوت الطبيعة وتغير المعطيات الثقافية .

ان الهوية في واقع الامر واقع دائم يبحث عن صيغة أفضل لحياة اي بلد في الحاضر والمستقبل مما يجعل الهوية دائمة الحضور في الوجود التاريخي لأي بلد دون انقطاع وان تلون شكل هذا الحضور بميزة معينة في كل عصر من تاريخها . (١٩)

والهويات سواء كانت فردية او جماعية تستهلك طاقتها في عملية التواصل مع محور من القيم وهذه القيم هي التي تحدد الغاية من وجودها . فالعقيدة الأيدلوجية أو الدينية تسلط الضوء على معنى الحياة فالمناضل يشعر بالنشوة عندما يعمل على وضع مبادئ عقيدته موضع التطبيق، وتعطي العقيدة الدينية للإنسان القدرة على تحقيق الرغبات والقيم التي تعمل على توجيه حياته وجعله يشعر بأحاسيس من الرضا والسعادة .

وتتكون هوية الجماعة عبر عملية تمثل مستمر لتأريخها وبالتالي فان عملية التحول الثقافي واستحضار الماضي الجمعي وتجارب النجاح والفشل للجماعة، وسلوك ابطالها النموذجي عوامل تسهم في بناء الهوية الثقافية للجماعة .

ويمكن القول ان وجود الهوية يتجلى عن طريق الشعور الذاتي بوحدة الشخصية والشعور بالوحدة والاستمرارية الزمنية وكذلك الشعور بالمشاركة العاطفية والشعور بالاختلاف والشعور بالثقة الوجودية والشعور بالاستقلال والشعور بالمراقبة الذاتية والشهور بالتقدير و الشعور بالاختلاف . (٢٠)

إن الهوية مؤلفة من انتماءات متعددة، ولكن لا بد من التأكيد على انها واحدة وان الانسان يعيشها معاً، فتتصارع الانتماءات في مجرى نهر واحد فتفرض على الشخص خياراته المصيرية، تحدد له العدو والصديق، الحق والباطل، الافضل والاسوأ، الميول والخيارات، فهوية الانسان ليست سلسلة من الانتماءات المستقلة،

الهوية تعطي الافق والشكل لحياة الانسان، ولكن وفي أوقات الازمات العميقة يختزل انتماء واحد جميع مكونات الهوية وقد يتحول الانسان المنكسر بقدرة تجييش الهوية إلى وحش كاسر. (٢١)

ولابد من القول ان هنالك ابعادا مختلفة للهوية وهذه الابعاد تتجلى في الاجابة عن سؤال أساس الا وهو من ذلك الفرد او من هي تلك الجماعة او هذه الثقافة؟؟ وغالبا ما تحدد اجابة الشخص عن ماهية هويته. (٢٢)

والواقع ان الاجابة عن هذا السؤال يتمحور بالدور والمكانة التي يحتلها الفرد، ومن المعروف أصلاً ان الفرد قد يحتل سلسلة من المكانات والادوار المختلفة وتستمد كل واحدة منها من الانظمة التي يُشارك فيها، وهو لا يحتل هذه المكانات فحسب بل ويعرف الادوار الخاصة بها ولكنه لا يستطيع ممارسة هذه الادوار كلها وفي وقت واحد، فمثل هذه الادوار عنصر ثابت في مشاركته للحضارة المستترة لمجتمعه ولكنها تؤدي وظيفتها من حين لأخر عبر مشاركة الفرد، وبعبارة اخرى فان الفرد وعلى الرغم من مشاركته مكانات وادوار متعددة ومعرفته لهذه الأدوار في كل المراحل الزمنية الا انه يعمل بوحي مكانة واحدة ودورها واحيانا بوحي ومكانة غيرها، وتُعرف المكانة التي يعمل بموجبها الفرد في لحظة معينة بالمكانة الفعالة، اما الادوار الاخرى والتي لا يعمل بموجبها فتعرف بالأدوار الكامنة، اما الادوار المرتبطة بمثل هذه المكانات الكامنة فإنها تكف مؤقتاً عن العمل، الا انها تظل بمثابة اجزاء لا تنفصل عن هوية الفرد الحضارية. (٢٣)

وغالبا ما تتشعب الهوية إلى مستويات ثلاثة، فهنالك المستوى الفردي والمستوى الجمعي والمستوى المؤسساتي، فالمستوى الفردي يعني شعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو اطار انساني اكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى هي حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وعملية التنشئة الاجتماعية، واما المستوى الجمعي فهو يدل على تمثل أو تجسد الهوية على شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري. (٢٤) واما المستوى الثالث من مستويات الهوية، فهو تبلور وتجسد هذه الهوية في مؤسسات وأشكال قانونية على يد الحكومات والانظمة أي ما يمكن أن ندعوه بمأسسة الهوية أي خضوعها لمؤسسة وعلى الرغم من ان الهدف الاساسي لمأسسة الهوية هو تأصيل الهوية، والسعي لتعبير أفضل عنها، فإنها تؤدي لضعف أصالتها وخمودها في النفوس، ذلك ان كل مأسسة للهوية

تخدم جانباً واحدا من جوانب الهوية على حساب جانب أخر، وقد تبقى الهوية على مستوى الضمير الجمعي فاعلة حتى وان أخفقت المؤسسات في تجسيدها أو حاولت تلوينها أو تعديلها، وأي تعديل أو تغيير في التعبير عن الهوية يستلزم حواراً ونقاشاً فكرياً مستمراً حول الهوية وابعادها ولا يضير الهوية في شيء أن تكون موضع نقاش وجدل وحوار، فلا شيء يكرس الهوية مثل الوعي بها، ولكن هذا الوعي لا يصنع الهوية، وانما يتم ذلك عبر صيرورة تاريخية اجتماعية واقتصادية وفكرية. (٢٥)

ويرتبط مفهوم الهوية بمفهوم أزمة الهوية والذي شغل حيزاً كبيراً من الدراسات الخاصة بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة، فأما مفهوم ازمة الهوية في الإطار النفسي فتعني الازمة التي تصاحب الانسان في مرحلة المراهقة، وهي تتجلى في بحث الفرد عن ما يحدد هويته ويشخصها وما يجعلها مختلفة عن الاخرين تمهيداً للانتقال إلى مرحلة النضج الكامل.

ولقد قدم جيمس مارشا طروحات وافية حول أزمة الهوية على الصعيد النفسي وعدها مرحلة اساسية وضرورية لتحقيق الهوية وذلك إذا ما واجهت الفرد أزمة في مجال أو اكثر من مجال من مجالات حياته ووصل إلى قرار معين بشأنها والتزم بهذا القرار وهذا يعني نمو الانا لديه، وبطبيعة الحال فان الشخص الذي يحقق الهوية أو تتكامل شروطها لديه يتمتع بدرجة عالية من التوافق بين الذات والمحيط، وأحياناً قد لا يجد الفرد هويته الا بعد مدة من الزمن يجري فيها البحث والتقصي وهو ما يطيل الازمة لديه والمثال الابرز لذلك هو تغيير الفرد لأهدافه وبحثه عما يملي رغباته، وهنالك مرحلة تعويق الهوية وهي مرحلة من مراحل تحول الازمة لمشكلة تتجلى بفرض جهة خارجية واملائها رغباتها وتطلعاتها على الشخص ويتقبل الفرد طوعاً مثل هذه الارادة الخارجية. واما المرحلة الاشد خطورة فهي مرحلة تشتت وتفكك الهوية والتي يعاني فيها الافراد من ضعف الانا وجملة من المشكلات السلوكية والنفسية. (٢٦)

وقد تدل ازمة الهوية على ازمة شعب بكامله، أو أزمة طبقة محددة، وهي تدل على حقبة حرجة في التطور التاريخي لشعب ما، ويتمخض عنها ما يمكن ان نسميه بالولادة الثانية لهذا الشعب، وذا ما كانت الازمة تعني تحولاً خطيراً ومرحلة حرجة لا مفر منها في الادبيات الطبية وتؤدي بالمريض إلى واحدة من نتيجتين اما تحسن حالته المرضية أو الموت، فان ازمة الهوية من الناحية النفسية تؤدي أما الى تماثل الفرد مع

نفسه ومع مجتمعه وبالتالي استثمار كل طاقاته الفكرية والعقلية والعاطفية وجعلها في خدمة المجتمع، أو تؤدي الازمة الى حالة سلبية وهي بقاء حالة اضطراب الشخصية، وعدم التكيف مع الذات والمجتمع لحقبة طويلة وفقدان القوى والطاقات الازمة لهذا التكيف والتي تصب في خدمة المجتمع، على ان هذه الحالة السلبية قد تؤدي إلى نتائج ايجابية، ذلك ان استمرار الازمة وتكرارها قد ينشأ عناصر الهوية بشكل متميز في المستقبل المنظور.(٢٧)

وازمة الهوية في المجتمعات العربية والاسلامية تحمل دلالات وخصائص فكرية، ولم تكن مثل هذه الازمة بدون سابقة مماثلة في التاريخ العربي والاسلامي، الا انها اتخذت في المرحلة الاولى وهي مرحلة الترجمة والنقل عن كتب الاقدمين من اليونان والفرس والهنود سمة ايجابية تمثلت بنقل العرب فكر وفلسفات الامم السالفة وتأثروا بأفكارهم ومن مختلف التفرعات والتوجهات الفكرية كالنزعة العقلية عند المعتزلة على سبيل المثال، على ان هذا التأثر قد حصل والعرب طرف قوي في معادلة التأثر والاكتساب، فلم يؤدِ الغوص في كتب اليونان إلى تبني العرب لذواتٍ غير ذواتهم أو الشعور بالنقص تجاه علوم الحكمة اليونانية على ايمانهم بان اليونانيين قد انفردوا بهذه العلوم دون شعوب العالم القديم، وهذه المقدرة على الاستيعاب ومن ثم التجاوز يفتقدها العرب المعاصرون، فالعرب المعاصرون ورثوا عن ابائهم تراثاً ضخماً مكتوباً غاصوا فيه ولا سيما خلال حقب الاضمحلال الفكري بالشرح والتحليل والتعليق، فلم تحدث اضافة أو ابداع في هذا التراث ورافق ذلك اختراق اوروبي غربي للمجتمعات العربية الاسلامية بدأ منذ القرن الثامن عشر ولم يكن كما هو الحال مع حقبة الصدام الاولى والمتمثلة بالحروب الصليبية والتي كان فيها الطرف الاوروبي هو الطرف المنبهر بحضارة العرب المسلمين. (٢٨)

وما حصل في القرون الثلاثة المنصرمة إن الغرب الاوروبي قد أضحى صاحب الحضارة الغالبة القاهرة والذي أوجد منذ احتكاكه المباشر بالمجتمع العربي غداة الحملة الفرنسية على مصر في العام ١٧٨٩ نمطين من أنماط التفاعل مع هذا الوافد فنمط استسلم لروافد الحضارة الغربية بشكلٍ سلبي ونمط أخر انكفأ على كتب الاقدمين وتراث الاباء عادا علمهم العلم كله والحفاظ على التراث الفكري بمثابة الحفاظ على نواميس الدين وشعائره. على ان ذلك لا ينفي ان هذا الاتجاه قد قاوم الوجود العسكري الغربي وفي بقاع مختلفة من العالم

الاسلامي، ولقد كانت الغلبة للتيار المتأثر بحضارة الغرب في القرن العشرين، وما نجم عن ذلك من علمنة للقوانين واستلهام للنماذج الغربية في التعليم والتربية والسلوك وسائر مظاهر الحياة الاجتماعية.

لقد عد البعض من الدارسين ازمة الهوية بمثابة إشكالية ذهنية بحتة ونوعاً من اليات الدفاع الذاتي المستفزة في حالات الاحباط والفشل بغرض اعطاء توازن داخلي للذات المهزومة حتى لو كان ذلك على حساب المعطى الواقعي والذي لا يمكن التغلب عليه، والذي لا يؤدي إلى الاشباع أو الرضا، ولكنها وكما تطرح تشكل حقيقة موضوعية. (٢٩)

والواقع ان مثل هذا الطرح قد لا يتناغم مع حقيقة وهي ان اغلب المجتمعات الانسانية تعيش في ظل ازمة هوية وما هو الاهم كيفية جعل مكونات الهوية تستجيب لجملة من المتغيرات بنحو عقلاني والتعبير عن المستجدات بشكل لا يشوه معنى الهوية الاصلية أو يحافظ في الاقل على خصائصها.

واذا ما كانت الهوية تدل على كل ما يشخص الذات ويميزها والذات هنا تأخذ معنى فكريا فهي تدل على الدين والموروث الفكري والروحي لامة ما والعادات والتقاليد وكافة الحلول التي وضعها وصاغها مفكرو الامة فيما يخص الجوانب الاعتقادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، فان ازمة الهوية تعني الشك في مقدرة هذه المكونات على تقديم حلول ناجحة لمواجهة مشكلات العصر سيما اذا كانت هذه المكونات قد اتخذت طابعا جامدا لم يتكيف مع معطيات العصر، ولعل المخرج الايجابي لازمة الهوية يقوم على الفهم والاستيعاب، فهم الثقافة الاجنبية وادراك معطياتها واستيعاب ما تقدمه من رمزية فكرية ومن ثم الحوار معها بشكل متكافئ مبني على التحليل لا التقليد. (٣٠)

ثانيا: مفهوم ثورة المعلومات

يدل مصطلح الثورة بشكل عام على حدوث تغيير جوهري وجذري في البناء الاجتماعي أو السياسي أو البنية الخاصة لمجتمع معين، وهي تعني انتقال من حال لحال أخر مختلف عنه ومتجاوز له.

اما ثورة المعلومات فتعني انبثاق العالم الرقمي وحدوث تطور نوعي بشكل مستمر ومطّرد في شبكات الاتصال ونظم المعلومات وتقنياتها، فضلاً عن تطور صناعة الثقافة وظهور البث الفضائي المباشر، ، وبذلك تحوّل العالم إلى قرية كونية صغيرة آفاقها مفتوحة وغير واضحة المعالم، فالعصر الذي نعيش فيه هو عصر انفجار المعلومات، حيث تولدت هذه المعلومات وتراكمت بفترات زمنية قصيرة جدا، حيث عجزت جميع القدرات الإنسانية عن مواكبتها وضبطها. (٣١)

إن التحول إلى عصر ثورة المعلومات يشبه إلى حد كبير التحول من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي، فهي ثورة تخطي الأفكار، والأيديولوجيات، والعقائد، علاوة على إزالة الحدود القومية بهدف بناء منظومة عقلية عن طريق الاتصال والتواصل. كما أصبح التطور التكنولوجي الذي أحدثه العقل البشري عنصراً مهماً في تدفق المعرفة، والرموز، والمسميات، والأفكار، وساهم بشكل كبير في تطوير وتنمية العقل البشري. وبناءً على ما سبق لا يمكن وضع مفهوم محدّدٍ لمصطلح ثورة المعلومات، لكن يمكننا تحديد العناصر الأساسية التي يرتكز عليها هذا المفهوم. (٣٢)

ظهور بيئة مجتمعية دولية مبنية على أساس انتقاء المعلومات، والمعرفة، والاتصالات، عن طريق إيجاد علاقة فعّالة ومنظمة بين الإنسان والأشياء، وبين الإنسان والدولة، وبين الدولة والبيئة، وبين المجتمعات المختلفة دون النظر إلى الحدود الجغرافية أو الديانة، أو اللغة، أو الأيديولوجية. هندسة منظومة الإيقاع الحيوي للفرد والمجتمع، وتتمثل في أربعة عناصر، وهي: الجانب البدني، والجانب الانفعالي، والجانب الفكري، والجانب الحدسي (التنبؤ). حرية استلام وتسويق المعلومات والمعرفة. إزالة وتخطي الحواجز الجغرافية بين الأمم، والبلدان، والشعوب. (٣٣)

ولقد أدت التحولات التي عرفتها المجتمعات الانسانية في القرن الماضي نتيجة العديد من التغييرات في محتوى واليات مجتمع المعرفة إلى ضرورة اعادة تنظيم المجتمع والاقتصاد وترتب على ذلك انقطاعات عديدة في مختلف مجالات الحياة فالنماذج المعرفية والاليات التطبيقية التي كانت تتحكم في الظواهر داخل المجتمع لم تعد مناسبة للتحولات البنيوية التي أفرزتها الثورة المعلوماتية ولم تعد مفردات مثل الاقتصاد والمجتمع والثقافة والتعليم تُفهم بمنطق القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين بل أصبحت تتطلب مقاربات جديدة باليات مبتكرة. وتبلورت في خضم ذلك اقتصادات جديدة ووسائط جديدة في الاتصال وقواعد جديدة في العمل والنظر والتعامل وهيمنت طرق المعلومات السيارة والسريعة، والتساؤل يبدو ملحاً هو كيف حدث مثل هذه الثورة المعلوماتية وما مدى تأثيرها على الهوية الجمعية وكيف استطاعت الثورة المعلوماتية تشييد هويات أشبه بالخيالية متجاوزة مفهوم الزمان والمكان.

لابد من القول إن الثورة المعلوماتية هي واحدة من ابرز الآليات التي ساهمت بشكل كبير في تهميش الهويات الجمعية وأفقدتها القدرة على مواكبة والاستجابة لمتطلبات العصر، الآلية التي رافقت التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصالات والثورة المتدفقة من المعلومات الغزيرة والتي دخلت كل بيت

وسكنت عقل كل فرد و أطاحت بالحدود والحواجز التي كانت تقيمها الدول الشمولية والتسلطية وبرز مجال للحديث عن دور للفرد في اختيار هويته دون حاجة لتدخل من الجماعات الصغيرة أو الكبيرة كالأسرة أو المدرسة أو الأحزاب السياسية ناهيك بالمؤسسات الإعلامية والتربوية الخاضعة لسيطرة الدولة واجهزتها وهذا الاختيار الفردي للهوية أمر لا يتنافى بأي حال من الأحوال مع ممارسة الفرد لحقوقه والتي نوهت بها شرائع السماء وقوانين الأرض، وتتوائم مع والى حد كبير مع ما طرحه أعمدة مدرسة الاستنارة الفكرية من دور طاغ للفرد في تحديد كل ما يتعلق به كونه فرد "مونود روحي" له مطلق الحرية في اختيار عقيدته وطريقة تفكيره ووجهة النظر التي يتبناها في الحياة. (٣٤)

وسوف نتناول هنا المراحل التي مرت بها الثورة المعلوماتية والفكرية والوسائل التي اعتمدتها لتهميش دور الجماعات التقليدية في رسم الهوية الفردية.

فمن المعروف إن الثورة الصناعية الأولى والتي أدخلت أوروبا العصور الحديثة منذ ما يقارب من ثلاثة قرون ونيف، ولقد تلتها ثورة صناعية ثانية أدخلت العالم في خضم حضارة أطلق عليها اسم الحضارة العلمية التكنولوجية. ولقد أحدثت الثورة العلمية والتكنولوجية تغييرات هائلة وجوهرية في مختلف الأبنية الاقتصادية والاجتماعية، فقد ألحقت هذه الثورة تغييرات هائلة في بناء المجتمع وبتكوين الإنسان والقيم التي يتبناها، وهذه التغييرات قد لحقت بتكنيك الصناعة، وبطابع العمل، وبصورة الحياة الإنسانية على حد سواء وعلى الرغم من توالي وتسارع عمليات التغيير المرافقة للتحولات التكنولوجية، فان إدراك المجتمعات الإنسانية لعمق التغيير الذي يأخذ مجراه مازال مفتقرا لشمول النظرة، لدرجة إن عددا كبيرا من المجتمعات ما تزال مفتقدة لمتطلبات الثورة التكنولوجية ولاتجاهاتها، ليس ذلك فقط بل إن بعض العلوم الاجتماعية (بوتقة الهوية ومعملها) قد بدت مبهورة من هذا التقدم العلمي والتكنيكي المذهل. وعاجزة عن رصد اتجاهاته وأثاره. (٣٥)

ولقد تشعبت هذه الثورة العلمية والتكنولوجية الى مجموعة من الثورات العلمية والتكنولوجية والتي كان في مقدمتها ما عرف باسم ثورة التكنولوجيات الدقيقة (Micro technologies) ذات التطبيق والأثر الكبير على مجموعة من العلوم الطبيعية وغير الطبيعية وعلى مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية وهنالك أيضا ثورة الإلكترونيات الدقيقة "micro electronic" وتكنولوجياتها وتطبيقاتها الهائلة في اكثر من علم ومجال، ولا يمكن بأي حال فصل ثورة تكنولوجيا الإلكترونيات الدقيقة عن ثورة المعلومات التي أخذت تغير المعطيات الأساسية للحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وهنالك أيضا ثورة تكنولوجيا علم الحياة وثورة هندسة المكونات الوراثية. وهنالك أيضا ثورة في التكنولوجيات التي يستخدمها علماء الأرض في اكتشاف الموارد الطبيعية التي تختزنها الأرض وقعر البحار والمحيطات. كما إن هنالك ثورة في مجال خلق موارد جديدة يمكن استخدامها في مجالات عديدة وبالأخص في مجال البناء وفي صناعة بعض مستلزمات الثورة التكنولوجية. (٣٦)

ويمكن القول إن هذه الثورات قد اختزلت برمتها تغييرات هائلة مرت عليها البشرية منذ عشر قرون خلت، فلم تعد التكنولوجيا قرينة التكنيك والآلات فقط. فهي تشمل إحداث ردة الفعل الكيمائي، وطرق تربية الأسماك وزراعة الغابات وإضاءة المسارح، وإحصاء الأصوات وغيرها. (٣٧) وللتدليل على حجم التغيير الذي ترافق مع الثورة العلمية والتكنولوجية أن نقيس حجم التغييرات التي طرأت على وسائل النقل والمواصلات على سبيل المثال بعد هذه الثورة مقارنة بالحقب الزمنية التي سبقتها، فمثلا كانت أسرع وسيلة نقل عام ٦٠٠٠ قبل الميلاد هي قافلة الجمال والتي كانت تسير بمتوسط (٨) أميال في الساعة وظل هذا المستوى بلا تعديل الى حوالي ١٦٠٠ للميلاد عندما اخترعت العربية ذات العجلات، وارتفع معدل السرعة الى حوالي (٢٠) ميلا في الساعة كحد أقصى. وعندما اخترعت أول قاطرة بخارية عام ١٨٢٥ (الثورة الصناعية الأولى) لم تزد سرعتها على (١٣) ميلا في الساعة وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر، وبفعل القاطرات البخارية المتطورة استطاع الإنسان أن يصل لأول مرة في تاريخه الى سرعة مقدارها (١٠٠) ميل في الساعة. أي إن الجنس البشري قد احتاج الى ملايين السنين ليصل الى هذا الرقم في سرعة الانتقال، ولكنه احتاج الى ثمانية وخمسين عاما فقط ليصل بهذا الحد الى أربعة أمثاله، حيث استطاع في عام ١٩٣٨ ان يطير بسرعة (٤٠٠) ميل في الساعة، ثم اقتضاه الأمر عشرين عاما فقط لمضاعفة هذا الحد وفي الستينات من القرن العشرين وصلت سرعة الطائرات النفاثة الى (٤٠٠٠) ميل في الساعة، كما استطاع الإنسان أن يدور حول الأرض في كبسولات الفضاء والتي تسير بسرعة (١٨٠٠٠) ميل في الساعة، والواقع

إننا إذا ما قمنا بفحص أي شيء في المسافات التي قطعناها، والارتفاعات التي وصلت إليها البشرية في العقود الأخيرة، سواء بقوى التدمير التي تمتلكها، والمعادن المستخرجة نجد إن هنالك اتجاه دائم الى التسارع، فمئات بل الآلاف من السنين تمر، ثم فجأة في عصرنا تتحطم الحدود وتحدث الانطلاقة الى الأمام.[٣٨] ولقد ترافق مع هذه التغيرات التقنية، تغيير في تنظيم المعرفة القائم على التجزئة والتخصص الى المعرفة التركيبية والتحليلية. كما حصل ثمة تغيير جوهري أخر حادث في بنية المعرفة وهو موت مسلمة الثبات. فالمسلمة القديمة تفيد بأننا عندما نقتنص معرفة أو معلومة ما فإنها تظل هكذا الى ما نهاية، في حين انه بسبب سرعة التغيير واكتشاف ان المعرفة برمتها عابرة ومؤقتة وإنها مجرد نماذج عقلانية أو تصورات للواقع، وان منافع هذه النماذج مؤقتة، وهذا كله من شانه إن يجتث ما يسمى بالمسلمات الأبدية والكلية.[٣٩]

ذلك إن الثورة التكنولوجية قد اختلفت في أسلوبها عن الثورة الصناعية بإحداث تغيير عميق ليس فقط في المجال التقني والاقتصادي، بل امتد ليشمل تغييرات جوهرية في التعليم وعلة المعرفة وتركيب الأسرة وأساليب الإدارة وجهاز الحكم ولعل التعقيدات في جميع هذه القطاعات متداخلة ومؤثرة في بعضا البعض فمثلا إذا كانت الثورة الصناعية قد أدخلت المجتمعات في عصر التجانس الجماهيري (المؤسسة التعليمية والتربوية الواحدة)، فان الثورة التكنولوجية قد أدخلت المجتمعات التكنولوجية الى عصر تفتيت الجماهيرية والمؤسساتية ومن ثم اصبح العالم المتقدم يتحرك من التجانس الى اللاتجانس والتنوع.[٤٠] ولقد سعت الثورة المعرفية والتكنولوجية الى تغذية نفسها بنفسها من خلال تسارع عمليات التطور التكنولوجي إذ لم يعد الحصول على آلة متطورة في مجال ما هدفا بحد ذاته بل أضحى وسيلة للحصول على تكنولوجيا اكثر تقدما وتطورا. وإذا ما عرفنا بان التحديد التكنولوجي يتألف من ثلاث مراحل أساسية ملتحمة في دائرة واحدة ذاتية الدعم، إذ إن هنالك الفكرة العلمية الخلاقة، وثانيا هنالك التطبيق العملي لها وثالثا انتشارها في المجتمع، ومن الطبيعي انه كلما أصبحت الفكرة واقعا يعاش في المجتمع، ساعد ذلك على توليد أفكار جديدة وخلاقة، ولعل من المزايا التي لحقت وأضحت لصيقة بالثورة العلمية والتكنولوجية اختزالها للمسافات الزمنية والتي تفصل بين اكتشاف الفكرة العلمية الخلاقة والتطبيق العملي لها وهذا ما لم يكن حاصلا في قرون خلت، فعلى سبيل المثال سجل أول اختراع للآلة الكاتبة في إنكلترا عام ١٧١٤، ولكن هذه الآلة الكاتبة انتظرت قرنا ونصف القرن قبل أن تتوافر تجاريا، كما انقضى قرن كامل بين اكتشاف نيكولاس ابديت لطريقة تعليب الطعام وبين جعل هذه الطريقة ذات أهمية كبيرة في الصناعات الغذائية. كما اختصرت وتضاءلت

المسافات الزمنية التي تفصل بين التطبيق العملي للاختراع وانتشاره في المجتمع . ففي الوقت الذي كان يفصل بين ظهور سلع كالفرن الكهربائي في عام ١٩٢٠ والثلاجة الكهربائية واستخدامهما الفعلي في الأسواق ما يقارب من أربعة وثلاثين عاما ، اختصر هذا التقدم التكنولوجي ليصبح بعد عام ١٩٥٩ ثمان سنوات فقط . أي إن الوقت بين المرحلتين قد اختصر بمقدار ٧٦٪ وكان هذا برهانا حيا على الطبيعة المطردة للتسارع الحاضر .[٤١] ولابد من التذكير بان كل هذه التغييرات التقنية المتسارعة وبشكل يومي أسرع بكثير من تغيير المؤسسات القائمة كما إن تغيير هذه الأخيرة أسرع بكثير من تغيير عقليات الشعوب وأنماط حياتها الفكرية، فالتغييرات قد حدثت باستخدام مصادر الطاقة واستثمار الزمن وانتقال من استخدام الحديد الصلب في الثورة الصناعية الأولى آما العصر الحالي فشهد ثورة عميقة في استخدام مصادر الطاقة النووية فضلا عن استخدام الكمبيوتر والذي مكن الإنسان المعاصر من اختصار عمليات ذهنية في لحظة ضئيلة . وكانت كل هذه التغييرات بطبيعة الحال في مصلحة الدول المتقدمة صانعة الثورة التكنولوجية، ولقد أتت بنتائج وبيلة على مصالح الدول المستهلكة للتكنولوجيا ومنها بطبيعة الحال أقطار الوطن العربي ذلك إن الخطوات المتلاحقة والمذهلة في مجال الاكتشافات العلمية وتطبيقاتها الفورية في مجال العقول الإلكترونية قد اقترنت بعملية ضخمة في تركيز المعلومات والخبرات ومؤسسات البحث والإنتاج بيد الشركات الأمريكية العملاقة فمثلما تقبض هذه الشركات على الكم الهائل من الإنتاج العالمي للسلع الاستراتيجية والتكنولوجيا المتقدمة وهي تقبض كذلك على العلوم والمعارف والخبرات المتقدمة بفضل ما تملكه من مؤسسات بحوث تضم خيرة العلماء من مختلف أصقاع العالم، وتقبض أيضا على السوق العالمية وتوجهها حيث تشاء ومن اجل ضمان مصالحها المالية، و أضحت هذه الشركات والمؤسسات تصوغ بفضل ما تملكه من احدث الوسائل التقنية الاعلام والدعاية ودور النشر في العالم، وعقول البشر في جميع أنحاء الكرة الأرضية، وظهرت بذلك صناعة عالمية جديدة غير مرئية عرفت باسم (صناعة الوعي أو صناعة العقل) .[٤٢]

ولقد أثر ذلك بشكل كبير على الشعوب الباحثة عن هويتها وذاتها الثقافية وما يميزها عن الأخر (الغرب) هذا ناهيك عن الفرد المعاصر بذاته والباحث عن معنى من معاني الانتماء، وعن نوع من الرابطة الاجتماعية والتي تمنحه شعورا بتحقيق الذات وتحديد الهوية، وهذا الفرد سوف يجد نفسه سائرا وسط ضباب يتحرك فيه أي هدف يسعى إليه بسرعة فائقة . إذ تؤشر المرحلة الحالية زيادة حادة في ما يمكن أن نسميه" مؤشر الزوال" . إذ سوف تقفز معدلات التغيير في الأشياء، والأمكنة والناس، والعقليات التنظيمية والثقافية، كما سوف يبدأ الإنسان في رفض أفكار كان يعتنقها أو في الأقل يعمل على تفسير هذه الأفكار

بشكل جديد . كما أضحى اندفاع البشر نحو عصر ما بعد الصناعة محركا لتبني ونبذ أساليب الحياة، بمعدل كان من الممكن أن يصيب الأجيال السابقة بالذهول، حيث تصبح أساليب الحياة ذاتها ، ومن ضمنها طرائق التفكير من قبل السلع سريعة الاستهلاك . (٤٣)

ومع تزايد وتائر ثورة الاتصال الإلكتروني، سيحدث تغيير جوهري في مجال صياغة الهوية . ذلك إن هنالك دراسات وتحليلات رصينة تقرر بان الإنسان في ظل ثورة المعلومات، قادر على الاطلاع بنفسه على منتجات العقل الإنساني، وتجليات الروح البشرية، وبالتالي سيقوم وبذاته بإنتاج هويته الخاصة والتي قد تكون متناقضة مع ما يؤمن به أفراد مجتمعه، وبدون الخضوع لأي نوع من أنواع التأثير والذي قد تمارسه أجهزة الإعلام في أي بلد من البلدان . وبعبارة أخرى سوف تزيد رقعة الحرية الإنسانية الى غير ما حدود، وستزيد إمكانيات الإبداع الى غير ما نهاية، وستتعاظم حرية الاختيار . ذلك إن ثورة المعلومات تتطلب مفهوما جديدا للحرية مفهوما يقر بان الحرية عندما تندفع إلى ذروتها فإنها تنفي نفسها بمعنى إنها ستكون بحاجة وباستمرار الى مفاهيم أخرى بديلة . كما إن قفزة المجتمع الى مستوى جديد من التنوع سوف يجلب بالضرورة فرصا جديدة للحرية الفردية .

كما إن التكنولوجيا الحديثة والأشكال التنظيمية المؤقتة الجديدة بحاجة الى نوعيات جديدة من البشر . وعلى الرغم من التراجعات المؤقتة ومحاولات التعويق، فان مسيرة التقدم الاجتماعي تمضي قدما نحو تسامح أوسع وتقبل أكثر، لنماذج بشرية أكثر تنوعا . ولقد ساعد تقدم وسائل الإعلام الفرد على في أي مكان على الأرض من أن يدير قرصا أو يضغط على زر فإذا العلم كله شيء أخر، والمعلومات تتدفق عليه بغير حساب يتلقاها وتصوغ أفكاره كما يشاء لها صاحبها ، ولكن واقع الحال يدل على إن للفرد حرية الاختيار بين أي قناة فضائية أو موقع للأنترنيت ولا يمكن والحال هذه الحجر عليه بدعوى إن هنالك جهة ما أو مؤسسة أو شخص ما قادر على توجيهه وتحديد خياراته لصالح الأخلاق الدينية أو العرف الاجتماعي أو ما يتوائم مع مبدأ السلامة الفكرية والذي كان معمولا به في العراق في الحقبة السابقة . (٤٤)

ولقد ساد في العالم المعاصر مبدأ إباحة التدفق الحر والتواصل بين المجتمعات، وفتح أبواب المعلومات، والآراء المختلفة، وقبول تعددية التيارات السياسية والاجتماعية . ولنا أن نقيس الدور الذي لعبه

الانترنيت، ذلك النظام المعلوماتي الغزير في مجال المعرفة والتخاطب والمراسلة والتعامل التجاري والثقافي والترفيهي والذي أضحى واقعا لا مفر منه، ونستطيع أن نلاحظ حجم المواقع التي تبثها الجماعات الدينية والطوائف والشخصيات الأكاديمية والجامعات ومراكز البحوث والتي تدعو لمذهب ما أو لفلسفة ما او حتى لسلوك أو طريقة معينة في مجال الحياة كالفن والرياضة والطبخ . .الخ ، وتمكن الفرد في أي مكان في العالم من الاتصال بما يشاء من مواقع ولا سيما تلك الخاصة برسم الهوية والتي غدت البديل الأكثر نجاحا من أي حملات تبشيرية أو دعائية قد تتبناها جماعة معينة، بل لقد غدت بعض المواقع اكثر تأثيرا على عقليات الأفراد من تأثير الآسرة وهي الوحدة المصغرة للمجتمع والمصنع الأولي للهوية، وهو الأمر الذي ينبأ بتداعي واضمحلال المؤسسات التقليدية والعودة لقيم المنزل دون قيم الأسرة وتداعى معها قيم التضامن الجمعي و"التحسس بمشاكل الغير" والذي كان إحدى سمات المعاصرة والشخصية العصرية، بمعنى إن هنالك نوعا من عدم التوازن إن لم نقل التناقض الصارخ للقيم الأساسية للحياة الغربية ولطريق تفكير أو سلوك أي مجتمع متحضر، وبين ما تمليه علينا ضرورات الثورة المعلوماتية والتكنولوجية ومدى التأثير الذي تتركه على المجتمعات التقليدية ومنها المجتمع العربي .

ومع تزايد وتأثر ثورة الاتصال الكوني سيحدث تغيير جوهري في مجال صياغة الهوية ذلك ان هناك تنبؤات رصينة تقرر ان الانسان في ظل ثورة المعلومات، حيث يستطيع الاطلاع بنفسه على منتجات العقل الانساني، وتجليات الروح البشرية، سيقوم فردياً بإنتاج هويته الخاصة بدون الخضوع للتأثير والذي تمارسه وسائل الاعلام الوطنية بعبارة اخرى ستزيد رقعة الحرية الانسانية الى غير ما حدود، وستزيد امكانيات الابداع الى غير ما نهاية، وستتعاظم حرية الاختيار [٤٥] وذلك ان ثورة المعلومات تتطلب مفهوماً جيدا للحرية مفهوماً يعترف بأن الحرية عندما تدفع الى ذروتها فأنها تنفي نفسها ان قفزة المجتمع الى مستوى جديد من التنوع سوف يجلب بالضرورة فرصاً جديداً للفردية، كما ان التكنولوجية الحديثة والاشكال التنظيمية المؤقتة الجديدة تحتاج الى نوعيات جديدة من البشر رغم التراجعات المؤقتة ولمحاولات التعويق، فأن مسيرة التقدم الاجتماعي تمضي قدماً نحو تسامح اوسع، وتقبل اكثر، لنماذج بشرية اكثر تنوعاً . [٤٦] الا ان هذه

النماذج البشرية الأكثر تنوعاً والتي تشمل شعوب العالم الثالث ومنها الاقطار العربية ليس بمقدورها ابداً في ظل الاوضاع الدولية مجاراة هذا التقدم العلمي الهائل، ولاسيما وان الاقلام العربية ذاتها تروج دائما لمبدأ الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب واتساع الفجوة فمهما حاولت الدول العربية اللحاق بركب التقدم بظل معدل انتاج يفترض وجود وسائل لدى هذه الشعوب يمكنها من عرض ثقافتها وفكرها على الشعوب المتقدمة والواقع انها لا تمتلك من الوسائل التقنية ما يمكنها من منافسة البضاعة الفكرية والثقافية للدول المتقدمة فتقدم وسائل الاعلام الامريكية مكنت اي فرد من اقصى الأرض إلى اقصاها ان يدير فرصاً او يديرها زراً فإذا العالم كله شيء اخر، والمعلومات تتدفق عليه بغير حساب تتلقاها وتصوغ فكرة كما تشاء لها صاحبها وهذا هو السبب الذي يدفع الولايات المتحدة الامريكية لرفع شعار حرية تدفق المعلومات والسعي لتطبيقه ولكن لصالح من يكون هذا التدفق ؟ واي معلومات تلك التي تتدفق سيولاً جارفة وهادفة غير مرئية لها فعل اشد من السحر اذ تمتلك الولايات المتحدة الامريكية اكبر واعتى وكالات الانباء وشركات الاعلام والاعلان والاقمار الصناعية المخصصة للبث الاذاعي والتلفزيوني وتمتلك شركات الافلام السينما والتلفزيون والفيديو واشرطة الكاسيت ودور نشر عالمية، ومؤسسات لقياس الرأي العام، ومؤسسات علمية لإجراء تجارب لبحث افضل سبل التحكم من مزاج البشر لاختيار وتحديد طريقة التفكير بصورة اشبه بتحديد السلع وجميعها وسائل تعود البشر على سلبية التفكير تحت عنوان "نحن نختار للك، نحن نفكر نيابة عنك، هذا هو الافضل" كما تعمل وسائل الاعلام الامريكية على تزييف وعي الشعوب وخلق مطالب واحتياجات وقيم استهلاكية تتجاوز طاقات وامكانيات الشعوب النامية، وتعمق لدى ابنائها من خلال التنافس غير المتكافئ في المجالات الترفيه مشاعر الاحباط وعدم الانتماء، وتزعزع مشاعر التعاطف والتضافر الجمعي بين ابناء المجتمع الواحد .(٤٧)

ولقد ساد في العالم المعاصر مبدأ إباحة التدفق الحر والتواصل بين المجتمعات، وفتح ابواب المعلومات، والآراء المختلفة، وقبول تعددية التيارات السياسية والاجتماعية، ولقد رسخت الولايات المتحدة هذا

المبدأ لتحقيق الاختراق والغزو الثقافي وتشويه وعي المجتمعات، وخلخلة الشخصية الوطنية للشعوب، ونشر التقاليد الاستهلاكية، وفرض التبعية الثقافية والاقتصادية والسياسية أي امركة العالم تحت شعارات حرية الحصول على المعلومات وحق الاتصال وحرية الرأي والتعبير وحقوق الانسان ومبادئ الحرية والديمقراطية، ونظراً لان من يسيطر على المعلومات وعلى الصورة يكاد يسيطر على العالم، فأن هذا الغزو يتعزز ويتقوى يوماً بعد يوم.(٤٨) ومما لاريب فيه ان شعار حرية تدفق المعلومات يكون مطروحاً من قبل الدولة التي تمتلك احدث وسائل الاتصال، فلقد تبنت الولايات المتحدة احدث الوسائل التقنية في البث من خلال تراوج الكومبيوتر في البث الفضائي وخلق ما عرف بـ "on line tv" وان هذا النوع من البث التلفزيوني يتمكن المشاهد من خلاله ان ينتقي البرامج التي يريد مشاهدتها في الساعة التي يحددها ونشأ ذلك الاخطبوط الهائل الذي ينتشر كالنار في الهشيم ونعني به "الانترنت" ذلك النظام المعلوماتي الغزير في مجال المعرفة والتخاطب والمراسلة والتعامل التجاري والتعامل التجاري والثقافي الكلي والمخابراتي والترفيهي والذي اضحى واقعاً عصريا لا مفر من التعامل معه ولقد اضحى التدفق المعلوماتي والثقافي والتلفزيوني، عبر فضاء العالم أمراً واقعياً وفعالا ومؤثراً ولقد ترادفت مع وجود الاقمار الصناعية وامتلاكها لدى الدول الغربية والمتقدمة والتي مكنها من فرض قيمها في الاجتماع والسياسة والاقتصاد وعلم النفس والمعرفة والثقافة والعلوم وتنمية القوى البشرية، ومع تزايد خطر تداعي المناعة الثقافية في المجتمعات العربية والترويض الفكري المستمر، والتقبل والتهاون، وتدني الثقة بالنفس نتيجة التفكك والتناحر، وبسبب الاستعداد لتبني انماط من الحياة الثقافية والاجتماعية الوافدة.(٤٩)

لقد أضحى عصر المعلومات محكوماً وموجهاً بقطبين مركزين قطب الشبكة وقطب الذات الفاعلة والشبكة في حقيقة الامر هي شبكات متعددة تتحكم في مصادر القوة والثروة والمعلومة المسلحة بالتكنولوجيا الرقمية حيث تقوم هذه الشبكات بدورها في بناء ثقافة افتراضية في اطار التدفقات المعولمة متجاوزة بذلك مفهومي الزمان والمكان، وفي مقابل الشبكة المعلومة تقف الذات التي تشير إلى الهويات الفردية

والجماعية الهادفة إلى المحافظة على حياتها في خضم التحولات المعرفية الكاسحة، وينتج هذا التناقض بين الشبكة والذات صوراً جديدة من الصراع الاجتماعي وأبرزها الطابع المعرفي لهذا الصراع، فبدلاً من الصراع الطبقي تصبح البشرية امام صراع تلعب فيه الشبكات المعلوماتية دوراً بارزاً في تأجيج وترتيب ملامحه الكبرى. (٥٠)

وعلى هذا الاساس فقد برزت حركات اجتماعية وثقافية مثل حركات الطلبة والنساء، وحركات السلام، وبدأ تراجع رمزية النظام الابوي في الاسرة وفي داخل المجتمع، مما يندرج ضمن التناقضات التي فجرها عصر المعلومات، ولقد تغير بحسب ثورة المعلومات مفهومي الزمان والمكان، وعادات العمل وممارسة السلطة والسيطرة، فلقد أضحى المكان عبارة عن تدفقات رؤوس الاموال وفيض المعلومات لا علاقة لها اليوم بمكان بعينه.

وهنا تداعت عناصر الهوية ببعدها المكاني والزماني فلا المكان أضحى رابطاً أساسياً للهوية الفردية ببعدها التقليدي ولا الزمان مرتبطاً بالساعة والمرتبطة بدورها بعصر الصناعة فهو في مجتمع الشبكات عبارة عن آنية تسمح للإنسان بالحضور في أمكنة عديدة في الان نفسه. (٥١)

لابد من القول إن ثورة المعلومات تتضمن اتجاهات(Attitudes)ومنحنى (Approach) وقيماً(Values) على الدول والشعوب أن تتبناها وتتكيف معها وأن تعي نتائجها وعواقبها ومشكلاتها وانعكاساتها ومعنى هذا إن ثورة المعلومات لم تكن ابداً ثورة بأبعاد تقنية حسب، بل هي حركة معقدة ذات أبعادٍ سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية وثقافية أنتجتها ظروف العالم المعاصر واثرت على حياة الافراد والمجتمعات والدول المعاصرة تأثيرات عميقة. لعل أبرزها اسقاط نظام الدولة الأمة فالحدود القومية تحد من حرية التجارة فالحدود التي تفصل أمة عن اخرى ليست أكثر حقيقة من خط الاستواء، أي ان الحدود مجرد علامات ملائمة للهويات الثقافية واللغوية والاثنية، وكذلك الغاء الثقافة القومية ولذا تصبح فكرة الدولة القومية فكرة بالية والدولة الامة ميتة وتصبح القومية لا عقلانية اقتصادياً، ويصبح مفتاح السوق الممتدة عبر الكرة الارضية اتجاه الناس حول العالم بتبني الادوات عينها وعادات الاستهلاك عينها. (٥٢)

ولابد من التذكير بان ثورة المعلومات ترتبط بحركة عولمة العالم إذ يعد البعد المعلوماتي الفاعل الابرز في عملية التنميط الجارية في العالم، ذلك غن الاقتصاد في عصر المعلوماتية لا يحده كما ذكرنا انفاً مكان ولا يعتمد على موقع وبالتالي يحصل الترابط بين المعلومة والعولمة وتلعب القوى الكبرى الممتلكة لخزائن ورموز المعرفة الدور المركزي بطرح تحديات جديدة امام المجتمعات التي تقع في أدنى سلم مرتكزات ومؤشرات المجتمع المعلوماتي، فعصر الشبكات يولد انماطاً جديدة من الصراع تتحدد بين منطق الهوية والمنطق المعلوماتي .

لقد جلبت ثورة المعلومات تضخماً متواصلاً في رأس المال المعلوماتي وتطوراً متسارعا للكشوفات التقنية ولازمها إرادة للقوة السياسية التي ترمي للسيطرة على العالم وكذلك وضع العالم في قالب ثقافي واحد ، حيث تقدم الثورة المعلوماتية دوراً داعماً لهذه التوجهات والخيارات والتي تسعى لامتلاك المعرفة والقوة والنفوذ . (٥٣)

إن التساؤل الاساسي يكمن في الكيفية التي يمكن عن طريقها المحافظة على الثقافة الوطنية والتفكير في دلالات الهوية امام التدفق المنهمر من شبكات المعلوماتية وكذلك مسخ ثقافات الامم الاخرى واستبدال هويتها وقهر شخصيتها ، وقد تبدو الهوية عنصر قديم في حقبة لا تعترف إلا بمنطق التنافس والمردودية وتطوير الانتاج، وعلى الرغم من إن الوقائع تشير إلى عدم وجود هوية مغلقة وتامة سيما وان النقاء الهوياتي يتنافى أصلاً مع التنميط الصانع لمصير العالم فان ذلك لا يعني الغاء أو تهميش المقومات الاصلية للهوية بدافع الاندماج مع الثقافة المعولمة السائدة .

إن التفكير في سبل التواصل مع عصر المعلومات يفترض ان لا يغفل مبدأ الاستعانة بمنافع التقنيات الجديدة وهذا التفكير يعد أقرب إلى الفعل القادر على بناء موقع محدد في عالم تحكمه مؤسسات تتجاوز النوايا والاحلام وتستفيد من عثرات الماضي لبناء الحاضر وصياغة مستقبل أكثر انفتاحاً على مكتسبات المعرفة الانسانية في الحاضر والمستقبل .

ولما كان الحفاظ على التراث الثقافي عنصراً حاسماً في تكوين الهوية وفهم الذات وربط المجتمع بماضيه كان لزاماً أن يعمل مجتمع المعلومات على الاستفادة من التراث الثقافي والحفاظ عليه كجزء أساسي مكون للهوية عن طرائق الوسائل الرقمية الحديثة .

الخاتمـــة

تعد الهوية بمكوناتها الوسيلة المثلى لفهم الذات الانسانية وما تنطوي عليه هذه الذات من تجارب وقيم واتجاهات فضلا عن فهم تفاعلها مع الاخر وتتكون الهوية عن طريق التجارب التاريخية التي يمر بها الانسان وهي بذلك هوية منفتحة غير منغلقة بمعنى إن الهوية لا يمكن فهمها بنحو استاتيكي ثابت بدون الاخذ بالحسبان ظروف الزمان والمكان اللذين تشكلت في اطارهما ، وبطبيعة الحال تبرز جملة من التطورات العلمية والتقنية التي تدفع بالهوية إلى التمحور والظهور بأشكال مختلفة، ولعل أبرز هذه التطورات العلمية والتكنولوجية الثورة المعلوماتية التي أطاحت بالكثير من المسلمات، لقد جاءت ثورة المعلومات لتفاجئ الانسان وقيمه التقليدية من ناحية توليد تقنيات مبتكرة وادوات جديدة ساهمت في توليد بنى وطرق جديدة للمعرفة والعلوم، وامتازت الثورة المعلوماتية بقدرتها على التجدد والنمو بانتظام عن طريق البناء المستمر للمعرفة العلمية التي تراكمت عبر العصور ولقد أدت إلى وجود تفاعل جدلي بين العلاقات الاجتماعية والتجديد التكنولوجي ولاسيما إذا ما عرفنا بانه نشأت صورة جديدة من صور الرأسمالية في نهاية القرن العشرين اتسمت بكونها كونية في طابعها عنيفة في تحقيق أهدافها ومرنة في الوقت ذاته، وترتبط بمجموعة من العمليات الرئيسة في انتشار المعلومات بحيث تصبح شائعة لدى جميع الناس، وتذويب الحدود بين الدول وزيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات وتمتد هذه العملية إلى مجال الفكر والايدلوجية بحيث تسعى لتعميم نموذج حضاري معين الا وهو نمط الحضارة الغربية، وتضيف الثورة المعلوماتية بعداً جديداً في تطور الاستقطاب في المراكز الاكثر تطوراً على حساب الاطراف الاقل تطوراً، ثم ترمي لإحداث توازنات بين المراكز من أجل امتصاص الازمات والتناقضات والتحديات .

وتعمل ثورة المعلومات على تكريس الثنائية والانشطار في الهوية الثقافية العربية بين ما هو تقليدي وعصري أي إن أثرها لا يقتصر على استبدال الهوية بل تكريس الازدواجية والانشطار داخل الهوية، ذلك ان الدفق المعلوماتي وما حمله من اختراق ثقافي قد مكن النخب المثقفة من التعامل بإيجابية مع معطيات هذه الثورة في حين بقيت الجماعات التقليدية تتمحور حول هويتها الاولية وما يميزها من جمود على التقاليد وهذا يعني اعادة انتاج متواصلة للتقليدي والعصري في الثقافة والفكر والسلوك .

الهوامش والمراجع

١. المنجد في اللغة والاعلام، بيروت، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، ص:١٠

2. Laurance Urdang,(1977) The Random House Dictionary of English Language, Allied Publishers, printed Limited,India, p:659

3. Idiomatic and Syntactic English Dictionary,(1957),Macmillan Company, London ,p:265

٤. صليبا، جميل، (١٩٧٩) المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الجزء (٢)، ص:٥٢٩

٥. تفاصيل أكثر عن المفهوم الفلسفي للهوية، ينظر: حنفي، حسن، (٢٠١٢) الهوية، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ص:19-17 .

٦. صليبا، مصدر سبق ذكره، ص:٥٢٩

٧. حول هذا الموضوع انظر: رستناوي، حمزة، في نقد الهوية الجوهرانية عند ارسطو والعقل الثابت، (٢٠١٤) الاوان، الاحد، ٢٤-ايار، مايو.

8. Encyclopedia Americana,American Corporation, International Headquarter, Danbury, Conneticut,USA,P:743

9. David Sills (Editor)),(1972) International Encyclopedia of Social Science,Volume,7,the Macmillan Co, New York, p:61

١٠. صليبا، مصدر سبق ذكره، ص:٥٣١

١١. حول الطروحات الفلسفية الخاصة المتعلقة بالهوية عند ديفيد هيوم وعمانوئيل كانت، انظر:
Encyclopedia of Americana,Volume(14),op.cit,pp:557-599
وانظر أيضا:
Encyclopedia of Americana, Volume((16)),pp:304-306

١٢. صليبا، مصدر سبق ذكره؛ ص:٥٣١

١٣. علاء عبد الرزاق، (٢٠٠١) أزمة الهوية في الفكر العربي المعاصر، بين الاصالة والمعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ص:٢٠

١٤. صلاح قنصوة، (١٩٧٩) الغزو الثقافي وحوار الحضارات، المنار، س(٣)،ع(٣١)، الاول من تموز،،ص:١٣١

١٥. اليكس ميكشيللي،(١٩٩٣) الهوية، ترجمة :د . علي وطفة، دمشق،، دار الوسيم .

16. David Sills,International(1972) Encyclopedia of Social Science, volume((6)),op.cit,pp:1-11

١٧. مؤسسة لجان العمل الصحي الفلسطينية، (٢٠١٠) ((اعداد))، مفهوم الهوية، البيرة، رام الله، ص:٣.

تفصيلات أكثر عن حياة وطروحات أريك أريكسون في مجال علم النفس وبناء الشخصية، انظر:

Brenman-Gibson, M (1997), "The legacy of Erik Homburger Erikson.", Psychoanalytic review (Jun 1997) 84 (3), pp. 329–335

١٨. عفيف البوني، (١٩٨٣) في الهوية القومية العربية، المستقبل العربي، ((٥٧))، س ((١١))، ص:٧

١٩. نديم البيطار، (١٩٨٢)، حدود الهوية القومية، نقد عام، بيروت، دار الوحدة، ص:٢٢

٢٠. اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة: د. علي وطفة، مصدر سبق ذكره، ص:٦٧–٧٣

٢١. بدر الابراهيم ومحمد الصادق، (٢٠١٣) الحراك الشيعي في السعودية، تسييس المذهب ومذهبة السياسة، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص:٢٤

٢٢. كلود دوبار، (٢٠٠٨) أزمة الهويات– تفسير تحول، ترجمة رندة بعث، بيروت، المكتبة الشرقية، ص:١١١–٣٠٥

٢٣. رالف لنتون، (١٩٦٤)، الاصول الحضارية للشخصية، ترجمة: د. عبد الرحمن اللبان، بيروت، دار اليقظة العربية، ص:١١٤–١١٥.

٢٤. عفيف البوني، مصدر سبق ذكره، ص:٨

٢٥. وميض عمر نظمي، المثقف العربي بين السلطة والجماهير، (١٩٩٥)، إشكالية المعادلة الصعبة، في كتاب، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص:١٢١.

26. Marcia (J.E), (1996),Development and Validation of Ego Identity Statue, Journal of Personality and Social Psychology, State University of New York,Buffalo , pp:551-558

وينظر ايضا: مصطفى غالب، (١٩٧٨)، فصام الشخصية، بيروت، مكتبة الهلال، ص:١٠٣–١٠٤

٢٧. مصطفى غالب، (١٩٧٨) السيكولوجيا النفسية، بيروت، مكتبة الهلال، ص:١٧١–١٧٢

٢٨. حول هذا الموضوع ينظر Martin X Carter,(1935) History of Middle Ages, Book II Blackwell, Oxford, pp;٨-١١، وينظر ايضا: قاسم عبدة قاسم،(١٩٩٠) ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،

٢٩. تركي الحمد، (١٩٩٨) هوية بلا هوية، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة.

٣٠. علاء عبد الرزاق، ازمة الهوية، مصدر سبق ذكره؛ ص: ٣١

٣١. الجبالي، صقر ويوسف، ايمن، (٢٠١٤) (محررين) المصطلحات المدنية والسياسية، نابلس، مركز اعلام حقوق الانسان، شمس، ص:٦٦، وينظر أيضا:

Allan Bullock and Stephen Trombley(1999) (eds),New Fontana Dictionary of Modern Thought, Third Edition ,p:754

32. Ibid,p 755

33. Ibid, p:755

٣٤. علاء عبد الرزاق، (٢٠١٩) الهوية العربية الاسلامية في طروحات التقليديين ورؤى المحدثين، عمان، دار أمجد، ص: ٢٢

٣٥. السيد يس، (١٩٦٩) الايدلوجيا والتكنولوجيا، تحليل موضوعي للاثار الاجتماعية للثورة التكنولوجية، الكاتب،س(١٩)، ع(١٠٣)، تشرين أول، ص:١١٦

٣٦. انطونيوس كرم، (١٩٨٢) العرب امام تحديات التكنولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ص:١٩٨

٣٧. الفن توفلر، (١٩٩٠) صدمة المستقبل، ترجمة: محمد علي ناصف واحمد كمال أبو المجد، القاهرة، دار نهضة مصر، ص:٢٦

٣٨. نفس المصدر السابق، ص:٢٧

٣٩. الفن توفلر، (١٩٩٠) بيان عن حضارة الموجة الثالثة، بحث تقدم إلى المؤتمر الثالث لمنتدى ايسيكول حول بزوغ حضارة الموجة الثالثة، المنار، ع(٥٤)، حزيران، ص:١٢١

٤٠. توفلر، نفس المصدر السابق، ص:١٢١

٤١. توفلر، صدمة المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص:٢٨-٢٩

٤٢. شوقي جلال، (١٩٨٧) الغزو الثقافي وتحديات الغربة في الزمان والمكان، المنار،ع(٢٦-٢٧)، س(٣)، شباط-اذار، ص:١٢٣

٤٣. توفلر، صدمة المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص:٣١١-٣٣٣

٤٤. علاء عبد الرزاق، (٢٠٠٣) ازمة الانتماء عند المثقف العربي، الذات والاخر، جريدة المؤتمر، العدد (٢٣٢)، بغداد، حزيران، ص:٦

٤٥. السيد يس، (١٩٩٨) صياغة الهوية وعولمة الخيال في القرن الحادي والعشرين، المنتدى،ع(١٤٩)، شباط،عمان، ص:٧

٤٦. توفلر، صدمة المستقبل، مصدر سبق ذكره، ص:٢٦٨

٤٧. شوقي جلال، مصدر سبق ذكره، ص:١٢٤
٤٨. حسين العودات، (١٩٩٧) السياسات الاعلامية العربية، الواقع والافاق، الرسالة،ع(٥)، تشرين أول– نوفمبر،ص: ٣٢
٤٩. فيصل الياسري، (١٩٩٧) اندلاع المعرفة والتدفق الثقافي، الموقف الثقافي، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية العامة،ع(٨)، س(٢) ،ص١٦
٥٠. علاء عبد الرزاق، (٢٠١٩) مجتمع المعرفة والتحديث السياسي، دراسة في الامكانيات والعوائق في المجتمعات العربية، بحث مقدم للملتقى العلمي الدولي بالتربية والتعليم، جربة تونس، ص: ١٢
٥١. نفس المصدر السابق، ص:١٣
٥٢. علاء عبد الرزاق، ازمة الهوية، مصدر سبق ذكره، ص:١٦٥
٥٣. احمد ثابت، (١٩٩٩) العولمة والخيارات المستقلة، المستقبل العربي،ع(٢٤٠)، س(٢٢)، شباط، ص:١٠